

من قديم بعيد موغل في أعماق الماضي إلى عصر ما بعد الطوفان، بدأ الوجود العربي في يثرب والحجاز.

الرواية العربية تقول إن (سفينة نوح) رست قريباً من بابل في موضع سُمي «سوق النمانين» بعدد من كانوا في السفينة الناجية من الطوفان، وقد مكثوا هناك حتى كثروا وضاعت بهم المنطقة، فتفرقوا.

اتجه بنو عييل، أخى عاد، إلى موضع يثرب، وهو اسم أحد أبناء عييل، فنزلوا به وعمره. ثم مالوا إلى موضع آخر في المنطقة دهمهم فيه سيل جاحف، فسمى الجحفة. وظلت يثرب مهجورة إلى أن عمرتها قبيلة من العرب القحطانية العاربة، بعد تصدع سد مأرب.

هذه القبيلة العربية الصميمة، هي الأوس والخزرج. أخوان نسقيقان، أبوهما «عمرو بن عامر» آخر ملوك سبأ قبل خرابها. وأمها «قيلة» التي ينسب إليها عرب يثرب، بنو قبيلة. ونزح إخوتهم «بنو جفنة بن غسان» إلى أرض الشام فأسسوا بها إمارة الغساسنة العربية. وآخرون من جرهم، نزلوا حول مكة، وهم الذين أصهر إليهم «إسماعيل بن إبراهيم» جد العرب العدنانية.

أقام بنو قبيلة في يثرب دهرًا طويلاً في أمن وسلام ورخاء ونعمة، والمنطقة خالصة لهم، حتى طرأت عليهم من الشمال سرازم من فلول يهود، فارين من وطأة الرومان الساحقة، بعد المؤامرة على السيد المسيح عليه السلام.

وخطوا على أخصب منطقة هناك، فما لبثوا أن أنشبوا مخالبتهم فيها واستنزفوا خيرها، وأقاموا لهم مستعمرات حصينة في يثرب وقرينة وخيبر وفدك وتيباء ووادي القرى، وأتروا ثراءً فاحشاً على حساب الوجود العربي الذي بدأ يتصدع من وطأة الغزاة^(١).

حاول العرب أول الأمر أن يأمّنوا شر يهود، بعقد حلف جوار معهم، وفي ظل ذلك الحلف استطاع بنو قبيلة أن يواصلوا حياتهم ويمارسوا نشاطهم، فخافت يهود على وجودها المغتصب، وقطعت الحلف الذي بينهم، وصرح الشر منهم حتى خاف بنو قبيلة أن تجلبهم يهود عن أرضهم...

(١) ولفنون. تاريخ اليهود في جزيرة العرب: ٩، ١٨ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.